اجتهادات
الطيب والشرس والقبيح

لم استغرب خبر تصدر فيلم كلاسيكى قديم قائمة الأفلام الأكثر مبيعًا على منصة أمازون فى الأسابيع الأخيرة. نُسخة مُرممة حديثًا من فيلم تُرجم اسمه إلى الطيب والشرس والقبيح The good, the bad, the ugly تلقى إقبالاً لدى من لم يكونوا قد وُلدوا حين عُرض للمرة الأولي.

مازلتُ أذكر هذا الفيلم الذى شاهدتُه فى نهاية الستينيات فى دار عرض أمير الصيفية فى شارع خلوصى بشبرا، التى أُنشئ فى مكانها (مول الأمير) ضمن موجة طغيان البيزنس على الثقافة. كانت تلك الدار قبلتى وعدد من الزملاء فى أيام الصيف. ولا أعرف هل كان ارتياحى لها سببًا فى اهتمامى المبكر بالفن السينمائي، أم أن هذا الاهتمام هو الذى قادنى إليها.

لم تكن أول دار عرض ذهبتُ إليها. ولكنها كانت الأحب لديَّ، إلى حد أننى أذكر كل ركن فيها. وكان فيلم الطيب والشرس والقبيح أحد أكثر الأفلام التى تفاعلتُ معها فى تلك المرحلة. لم تعد السينما بعد مشاهدته كما كانت قبل ذلك. أخذت نظرتى إليها تتغير، وبدأتُ فى إدراك أنها فن رائع وليس ممتعًا فقط. وسعيتُ لأن أعرف عنه. وساعدنى ابن عمتى الكاتب والسيناريست عصام الجمبلاطى رحمه الله فى تكوين معارفى الأولى عن هذا الفن.

وعندما شاهدتُ الفيلم نفسه للمرة الثانية بصحبته، لم تعد القصة المُشوقة، ومشاهد الحرب والقتال، والصراع على الكنز المخفى داخل مقبرة، وأداء كلينت استوود المُبهر، هو ما عنيتُ به. بدأ اهتمامى يتجه صوب الإبداع الذى يجعل المشاهد مشدودًا إلى فيلم لثلاث ساعات بلا ملل، رغم أن الكثير من مشاهده طويلة. بدأتُ فى التفكير فى جوانب لم أهتم بها من قبل، مثل طريقة التصوير وحركة الكاميرا، ودور الموسيقي. كما فهمتُ أن الأجواء التى بدت غامضة لى فى المشاهدة الأولي، على نحو أثار خيالى، مرتبطة بفترة الحرب الأهلية الأمريكية التى تدور قصة الفيلم فيها.

لم يكن مجرد فيلم شاهدته إذن، بل كان حدثًا جعل للسينما مكانًا مميزًا فى حياتي، ودفعنى إلى الاهتمام بالفنون وتاريخها، ودورها فى الارتقاء بالإنسان، وعلاقتها بالأفكار والعلوم وأنماط الحياة.